Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لتكاد تستعبده ، فهو لا يرضى بها بديلا ، ولا يجد فى سواها راحة البال وأنس النفس ، فهى بالنسبة له كالماء للسمك يموت إذا خرج منها .

والتصاق البدوى ببيئته على هذا المستوى ، وحرصه عليها هذا الحرص ، جعل منه مرآة مجلوة تبدو على سطحها صورة البادية بكل ما فيها من تقلبات ، فأنت ترى هذه البادية وفى علائق الناس بها ، وأخلاقهم ومعارفهم وتقاليدهم ، ونظام حياتهم ؛ فإذا كانت الطبيعة فيها مكشوفة واضحة ، فالناس الذين يقطنونها صرحاء واضحو المقاصد دون التواء . وإذا كانت الطبيعة فيها متفردة العناصر يتضح كيان كل عنصر منها على الرغم مما بين عناصرها مجتمعة من روابط ، فإن الفرد فيها يشعر بذاته أكثر مما يشعر بمجتمعه ، فذاته أولا ثم بعد ذلك يأتى الآخرون . وإذا كانت الطبيعة فى البادية ثائرة هادئة ، عابسة باسمة جافية رفيقة ، واجمة ناطقة ، غاضبة راضية ، مشرقة متجهمة ، منيرة مظلمة ، فإن ساكنيها على هذا المثال يجتمع فيهم النقيضان ، ويلتقون على الضدين ولذلك فهم يتسمون بالطبع الحاد ، تستثيرهم الكلمة فتفيض بسببها الدماء ويستخفهم الطيش فيندفعون دون أناء أو تعقل ، ويستفزهم أتفه الأسباب فتشتعل الحروب أعوامًا بين الأخ وأخيه .

والتصاق البدوى ببيئته على هذا المستوى ، وحرصه عليها هـذا الحرص جعله لا يبتسم إلا تبتسم له البادية مثل سقوط الأمطار ، وهدوء الرياح ، وكما لا يضيق إلا بما تضيق به البادية من حر قائظ وبرد قارس .

إنه فى بيئته تلك يدور فى محور حاجاته البدوية ؛ هى التى تلفت نظره ، وتجذب انتباهه ، فيقبل عليها واصفا ، ويعيش معها متفاعلا ، حتى يخيل إلينا أنه جعل منها إنسانا يشاركه الحياة ، ويتاسمه أهوالها ومتاعبها .

وحاجاته البدوية قصرت نظره إلى تلك الأشياء ، فلم يتعد السطح المادى . ولم يتجاوز النظرة العجلى . اللمحة الخاطفة . دون تعمق فى دخائل هذه المظاهر الكونية أو محاولة للكشف عن أسرارها .. وأنى له ذلك وتكوينه البيئى . واستعداده الفطرى لا ينزع به إلى ما دون السطح من مثل عليا تقوم عليها تلك الظواهر ؟ !

ففى البيئة البدوية صفات توارثها ساكنوها ووقفوا أنفسهم للحفاظ عليها وضحوا